اليهود موضوع خطير يشغل الأذهان من أقدم العصور

وهذا الكتاب الذى أقدمه هنا مدخلاً لكلامى عن اليهود وعنوانه « اليهود Les Juifs » ، يجمع كل خصائصه مؤلف أديب، فقد اختار موضوعه لأنه موضع اختلاف ومناقشات ومشكلات بين الناس منذ الزمن البعيد : فاليهود طائفة دينية وعنصرية نجدها فى كل مكان ، وعلاقاتها مع الناس وثيقة متداخلة ، ولكن أحداً لا يعرف عن تكوينها شيئاً ! وبينما يعرف اليهود عن الناس كل شىء قل أن نجد إنساناً غير يهودى يستطيع أن يقول: إنه يعرف اليهود حق المعرفة ، أو إنه نفذ إلى حقيقة أمرهم !

ذلك أن اليهود ما زالوا ـ إلى يومنا هذا ـ طائفة سرية مغلقة على نفسها تماماً ، لها أسرار وأحوال تجتهد فى سترها عن الآخرين !

ولعلك تدهش إذا علمت أن التوراة ـ وهى كتاب دين المفروض أن يكون متداولاً بين الناس ـ إنما هى فى حقيقتها كتاب خاص لا يتداول نسخه الكاملة إلا أحبار اليهود ، وما بأيدى الناس ليس إلا مختارات ومقتبسات منها ، صنعها هؤلاء الأحبار لمن يسمونهم العوام ! والمراد بهم هنا عامة الناس !

وهذه الحقيقة تكفى أن تصور لك الجهد الذى بذله بيريفيت ؛ ليحصل على ذلك الحشد الهائل من المعلومات عن اليهود ، الذى تضمه صفحات كتابه .

لقد قرأنا قبل ذلك كتباً كثيرة عن اليهود ، ولكنى لا أذكر كتاباً آخر جمع هذا الجمع الحافل ، فمهما أردت من المعلومات عنهم فأنت واجده ، ولو أن الرجل قسم بحثه أبواباً عن الديانة والطقوس والتقاليد والخصائص الجسمانية والمميزات الخلقية وعلاقتهم مع المسيحيين أو مع المسلمين ، ثم مركزهم فى فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة وروسيا وغيرها فى الماضى والحاضر، وأسباب قوتهم وعوامل ضعفهم وأسرهم الكبيرة ، ودورهم فى السياسة العالمية ، وما إلى ذلك من وسائل تدور

بالخاطر إذا جاء ذكر اليهود ـ لو أنه فعل ذلك لكانت أمامنا دراسة اجتماعية سياسية من الطراز الأول .

وقد قبلت أوربا وأمريكا اليهود على أنهم عُقدة عسيرة الفهم ، ولكنها تنفع فى بعض الأحيان : قبلهم الأوربيون والأمريكيون مرغمين ؛ لأن الحقيقة التى لا ينكرها أحد ـ بحسب ما فى هذا الكتاب ـ هى أن شعباً من شعوب الغرب لا يحب اليهود حتى فى فرنسا والولايات المتحدة حيث يزعم الناس أنهم لا يفرقون بين نصرانى ويهودى ـ ينظر الناس إلى اليهود فى حذر ، ويعرفونهم بأشخاصهم وأسرهم وتصرفاتهم ، ويحملون عليهم فيما بينهم وبين أنفسهم حملة تدل على كراهية عميقة ، ولكنهم يحتملونهم لمصلحة أو خوف أو حياء أو رغبة فى الاستفادة منهم وعن تظاهر بسعة الأفق والبعد عن العصبية ، ثم إنهم ليس لديهم حل لمشكلتهم إلا احتمالهم على هذا النحو !

وهذا الشعور العام يسود كتاب بيريفيت كله ، فإن بطل قصته ـ وهو باحث فرنسى موهوم يسمى جورج سار George Sare متخصص فى المسألة اليهودية لا يزال ينفق عمره

فى البحث فى أمرهم ودراستهم ـ هذا العالم لا يرمى إلا إلى غرض واحد من وراء بحثه كله ، وهو إقناع الناس باحتمال اليهود ؛ لأن هذا الاحتمال ـ فى رأيه ـ إنسانية وحضارة وحكمة!

وقد ظن أهل الغرب كله أن إنشاء دولة لليهود فى فلسطين يريحهم منهم ومن متاعبهم ؛ ولهذا سعت الدول الأوربية والأمريكية جميعاً فى إنشاء إسرائيل وتأييدها حاسين أنها إذا قامت انتقل إليها مَنْ عندهم من اليهود ، وصارت المصيبة كلها على أكتاف العرب ! ثم تبينوا أنهم لم يحلوا شيئاً : فها هى ذى إسرائيل قائمة ، واليهود عندهم كما كانوا بل زادوا عدداً ومشكلات ! وأصبحت لهم دولة تتحدث باسمهم ، وتطالب بأن تحصل لهم على الإتاوات والمعاونات ، وإلا انهارت إسرائيل ، وعاد من فيها من اليهود إلى الغرب مرة أخرى ، وهذه مصيبة يتحاشونها بأى ثمن !

هذه الفقرة ليست من كلام المؤلف ، ولكنها صدى لبعض كلامه ؛ فإن فصلين طويلين من كتابه ـ الفصلين الأول والسابع

من البـــاب الرابع ـ يدوران عـلى كـراهة الـيـهـــود فى أوربا ، وينطقان بالنفـور منهم ، وهنا وهناك عبارات غـاية فى الغرابة تدلك على أن كراهة اليهود والحـقد عليهم لا يوجدان فى أوضح صورهما إلا فى أوربا!

والشيء الـذى اســـتـــوقف نظرى فـى الكتـــاب أنه لـم يُعن بالوقوف أمـام مشكلة إسرائيـل والعرب وقفـة طويلة ، بل خُيِّلَ إلىّ أنه يتـجنبـها ، لأن له فـيـهـا رأياً ربما لا يعجـب اليهـود ، واليهود لا يرضون من الغـرب اليوم إلا بالتمجيد والاعـتذار عما سلف ! وهم يعتـبرون ما تسميـه البابوبة بتحريم مـد اليد إلى غيـر الكاثوليك اعتـذاراً من الكنيسـة عما فـعلته باليـهود فيـما مضى، وهو اعتـذار لا ينزل اليهود بقبـوله ، ويقولون : إنه جاء بعد أوانه !

ولقـد ذهب كونراد أديناور مـستـشـار ألمانيا الأسـبق لزيارة إسرائيل ، واعتذر إليهم كل يوم عشرات المرات ، ووعدهم بإغداق العـون دون حـســاب ، ولكن مـوسى أشـكول ـ رئيس الوزارة اليهـودية إذ ذاك ـ قال فى خطاب وداعه : إن ألمانيـا مهمـا تفعل

فهى لن تستطيع التكفير عما فعلته باليهود ! وأديناور يستحق أن يقولوا له أكثر من هذا ، فهو ـ وسائر الألمان ، حتى شتراوس وإيرهارد ـ يكرهون اليهود أكثر مما يكرههم أى عربى فلسطينى طردوه من داره وأرضه ، وغصبوه إياهما ! إنهم يكرهونهم ، ولكنهم ينافقون ! وأشكول يعرف ذلك ؛ ولهذا قال ما قال دون تكلف مجاملة أو تصنع حياء !

الكتاب ومشكلة إسرائيل :

وعلى قدر ما أذكر ـ لأن الكتاب ضخم ومحتشد بالمعلومات بصورة يصعب معها تذكر صفحات ـ هناك فقرتان تكشفان عن رأى المؤلف فى مشكلة إسرائيل والعرب :

الأولى تقول : إن إسرائيل إنما هى « جيتو » يحرس أبوابه العرب !

والأخرى فقرة من خطاب راهب يسوعى «الفصل الخامس من الباب الخامس » تقول : إن اليهود يجتهدون فى أن يظهروا بمظهر المضطهدين المعذبين ، وها هم أولاء اليوم فى القدس ، ولكنها قدس جديدة ، لا ينبت فيها العشب على الجدران

ويغطيها ـ كما تقول مأساة إستر (Esther) التى كتبها الشاعر الفرنسى راسين ـ وإنما تحيط بها الأسلاك الشائكة ! إن الناس يعيشون فى جو مشبع بروح المأساة!

والفقرة كلها فى الغاية من الطرافة ، لولا أنها تقارن أوضاع إسرائيل بأشخاص فى مسرحيتى إستر وأثالى (Athalie) للشاعر الفرنسى راسين .

وختام هذه الفقرة يعود بنا إلى موقف ألمانيا من اليهود، فهو يشبّهها ـ ألمانيا أقصد ـ بشخصية من شخصيات مسرحية إستر تسمى ماثان (Mathan) هى شخصية القس الذى ضحى بالإله بعل ، هذه الشخصية ـ فى رأى المؤلف ـ هى ألمانيا ، وهى بلد عدو لليهود بالسليقة ، برغم أنه قد حكمه فى أحيان كثيرة يهود مستورون : (أى نصارى من أصل يهودى) مثل أديناور وإرهارد وفون برنتانو Von Brentano وشتراوس Strauss ! وحال ألمانيا مع إسرائيل هى حال ماثان مع الإله بعل : عندما رأى ظمأه الذى لا يرويه إلا الذهب ـ عمل على القضاء عليه!

جماعة سرية ضخمة لا يعرف الناس عنها إلا القليل :

القالب القصصى فى الكتاب يتلخص فى حكاية حب بين شاب يهودى من بيت غنى هو بيت جولد تشايلد يسمى شاءول Saul وفتاة مسيحية تسمى أوزموند Osmonde ، ولا يجرى فى الحكاية شىء غير الإجراءات التقليدية للزواج ، وهى تقاليد وطقوس ربما كانت من أعقد ما يعرف الناس فى الأديان الكبرى !

ويستعمل المؤلف هذه الإجراءات المعقدة وسيلة لإطلاعنا على دقائق الزواج اليهودى ، ويرينا : كيف تتهود الفتاة ؛ لتصبح جزءاً من الشعب المختار ؟! ثم كيف تتم خطبتها ؟ ثم كيف تغتسل للطهارة فى حمام خاص وبماء مجموع من ماء المطر ؟ ثم كيف تغوص فى اليهودية شيئاً فشيئاً ، حتى إذا جاء يوم زفافها كانت يهودية حتى أطراف شعرها كما يقولون ؟

والطريق إلى ذلك يتم على أيدى سلسلة من الناس كلهم من عمد الجالية اليهودية فى العاصمة الفرنسية ،

ومراكزهم هناك معروفة : الكنيس اليهودى الكبير ، ومركز الدراسات اليهودية فى برونوا La Yechiva de Brunoy ، ومطاعم الكوشر ـ أو الكاشير ـ التى لا يؤكل فيها شىء تحرمه ديانتهم ، وأشهرها فى شارع روزييه ، ثم مدارسهم الكثيرة ، ومدفنهم فى بانييه Bagneux ، ودور صحفهم وهى متعددة ، ثم مراكز قوتهم الحقيقية فى المصارف والمتاجر ومكاتب الدولة الرئيسية ، وعدد لا بأس به من دور النشر !

ونحن نلتقى فى العاصمة الفرنسية وطائفة من عمد الجالية الإسرائيلية فى الفصل الأول من الكتاب ، نلتقى نحن والغلام أشر Asher أو عاشر ، ومعناه « المبارك » ؛ لأن بنى يعقوب اكتملوا به ثمانية ، يضاف إليهم الأب والأم ، فهو العاشر المبارك، ولقبه بالفرنسية Aronovitz ، ومعناه ابن هارون .

ولو دققت النظر لتبينت أن آل هارون هؤلاء لابد أنهم كانوا أول الأمر من يهود الأندلس الذين رعاهم العرب ، ثم هاجروا إلى بولونيا حيث أضافوا إلى أسمائهم « فتش » وعاشوا فى الحارات المظلمة والأنفاق تحت الأرض ! ولما تنفسوا الصعداء لم

يعد لهم إلا إيذاء العرب والعدوان عليهم ؛ جزاء لهم على ما أحسنوا إلى أولئك اليهود .

ومعظم الذين يحملون على العرب اليوم من يهود فى إسرائيل وخارجها ـ إنما نبتت أعراقهم فى أرض العرب والإسلام ، وشاء لهم نكران الجميل إلا أن يكونوا رموزاً عليه فى كل مكان !

يتمسكون بدينهم ويحرضون غيرهم على الكفر :

وهناك أيضاً تلاقى أنواعاً شتى من اليهود منهم :

اليهودى « فنحاص » المولود فى الجزائر : ذهب إلى أمريكا ، وهناك تأمرك ، وأضاف إلى لقبه حرف « Y » فى الآخر ؛ ليبدو إنجليزيّا ، فأصبح اسمه المستر Penacy .

وهناك « إيجلا » Egla شقيقة عاشر ، ويهود آخرون .

وأنت تسمع منهم أحاديث عجيبة تكشف عن حقيقة أكبر : هى أن اليهود ـ فيما بينهم ـ يتمسكون بدينهم ويعتبرونه قوام حياتهم وسبب توفيقهم ، ثم يتظاهرون أمام الناس بعدم التمسك بالدين ، بل الإلحاد ؛ ليزهدوا الناس فى أديانهم ،

ويوقعوهم فى الكفر والإلحاد ، أو الشك على الأقل ، حتى لا يظل على إيمان سواهم !

وكبار الملحدين فى العصر الحديث يهود ، ومؤسسو الشيوعية ـ وأساسها إنكار الله ـ يهود مؤمنون بجنسهم على الأقل ! وكارل ماركس ـ الذى دعا الناس إلى التخلى عن أوطانهم وإنشاء عالم يقوم على العمل والعمال ـ وكان من أوائل من فكروا فى إنشاء إسرائيل ، وله رسالة فى ضرورة قيامها . وفرويد ـ ذلك اليهودى الذى تشعر وأنت تقرأ له أنه أعتى الكافرين ـ قال وهو على فراش موته : إنه مدين بكل شىء لعقيدته اليهودية ، وكتابه عن « موسى » يكشف عن إيمانه العميق باليهودية .

والحديث بين أبطال الرواية من اليهود المتمسكين بعقيدتهم يكشف لك عن حقائق ، أو قل : بديهيات لابد لمن يريد أن يدرس المسألة اليهودية أن يعرفها :

كيف أنهم ـ مهما اختلفت بلادهم ـ يهود أولاً ؟ وكيف أنهم ـ مهما اختلفت طبائعهم ـ يحلمون بأن يكون كل منهم روتشيلد ؟

وكيف أنهم ينسبون إلى أنفسهم كل خير فى البلاد التى يعيشون فيها ؟ حتى نجاح شارل ديجول ، يقول اليهود : إنه قائم على آراء منديس فرانس !

ونفهم من كلامهم أيضاً أنهم يعتبرون أنفسهم فى حالة حرب دائمة مع الآخرين ، وأن إسرائيل لم تحقق إلا جزءًا يسيراً جداً من أحلام اليهود ، وأننا إذا قسناها بتلك الأحلام ينبغى أن نحكم بأنها فشلت ! وفى موضع ما من الكتاب نقرأ : أن إسرائيل «جيتو » يحرس مداخله العرب!

والسطور الأخيرة من الحوار بين أولئك اليهود تعطينا فكرة عن النسيج المتين الحافل بالمعلومات الذى يتكون منه هذا الكتاب : الكلام يدور حول منديس فرانس ، وهم لا يرون أنه يهودى صادق ؛ لأنه لا يمارس الطقوس اليهودية ! وهو يشرب اللبن ويأكل اللحم فى آن واحد ، وهو يتحرج من زيارة إسرائيل، ولم يأذن بتصويره إلى جانب قبر النبى داود إلا بشق النفس !

أما اليهودى الحق عندهم من رجال السياسة الفرنسيين فهو رينيه مايـر (أومايـه René Mayer كما ينطقونه بالفرنسية) ،

هنا يقول الحبر اليهودى المولود فى الجزائر ثم المتأمرك بعد ذلك رحمين هاينى Rahmin Heiney : ذلك فرنسى عظيم ويهودى عظيم ، مثله فى ذلك مثل روتشيلد!

وهنا تناول الكلام الكاهن ـ أو الحاخام ـ فارشا فسكى Warchavsky ، فأضاف : أن رينيه ما ييه كان عضواً فى الجمعية الإسرائيلية ، ونائب رئيس الاتحاد الإسرائيلى العالمى ، وأنه كان لفرنسا ـ منذ سنوات ـ رئيس وزراء هو ميشيل دبريه Michel Debré كان جده الكاهن الأكبر فى بيعة حى نويى Neuilly ، وأن الرئيس السابق جورج بومبيدو Pompidou كان أول أمره من رجال روتشيلد !

فقال فارشافسكى :

إن شيخ يهود باريس ـ وهو الكاهن يعيش (يكتبونه بالفرنسية Jais) من مواليد قسنطينة فى الجزائر ـ يقول :

إن فرنسا لم يكن فيها فى يوم من الأيام حكومة أكثر يهودية من حكومة بومبيدو : فمن وزرائها باليفسكى Palewski ، وبوكانوفسكى Bokanowski ، وهيرتسوج Herzog، وجرانفال

Granval واسمه الأصلى اليهودى هيرش أولندورف Hirsch- Ollendorff .

ومن رجال الدولة الفرنسيين فى العهد الديجولى الذين يحملون أسماء يهودية تنم عن أصلهم : حبيب ديلونكل Habib Deloncle ، وسانتينى Sainteny ، ومسمر Messmer، وبيسانى Pisani وجوكس Joxe ، وجاكيه Jacquet، وفراى Frey ، أما الأمير دى بروجلى Le Prince de Brojlie فجدته يهودية ، وجاكينو Jaquinot زوجته يهودية ، وفى رياسة الجمهورية يسيطر فوكار Foccard وأصله يهودى ، اسمه الحقيقى كوخ Koch .

كتب كثيرة عن اليهود ، تدل على الحذر منهم فى أوربا :

وهذه المعرفة الواسعة برجال الدنيا وأصولهم ووضع الخطوط تحت اليهود منهم تعطينا المحور الثانى الذى يقوم عليه الكتاب ـ غير حكاية الحب التى ذكرناها آنفاً ـ وهو محور العلم التام بكل ما هو يهودى : هنا نجد شخصية رجل علامة متخصص فى الشئون اليهودية يسميه المؤلف جورج سار George Sarre ، وهو رجل ذو علم مذهل بكل ما يتصل بأهل هذا الدين ، وخاصة الذين تنصروا منهم من أواخر العصور

الوسطى إلى اليوم ، وعماد علمه هو القوائم التى كانت الكنائس تصدرها بأسماء اليهود ؛ ليقاطعهم الناس ، وأسماء المتنصرين منهم ليعاملوهم .

وقد صدرت فى أوربا كتب كثيرة ، وهى قوائم بأسماء اليهود المتنصرين فى كل بلد ، وظهور هذه الكتب دليل على أن الأوربيين.لا يثقون كثيراً فى تنصر اليهود ؛ ولذلك فهم يصرون على ألا يختفوا عن أعينهم . وأشهر هذه الكتب ـ أو أدلة اليهود ـ هو الدليل المعروف بالسيمى جوتا Semi- Gotha ، وهو دليل بأسماء اليهود والمتنصرين نشر فى مدينة جوتا فى ألمانيا فى القرن السادس عشر ، ثم أعيد نشره بعد ذلك مراراً . وعلى أساس هذا الدليل نشر فى فرنسا كتاب مشهور يسمى La France Juive يتضمن بياناً وافياً عن يهود فرنسا : من بقى منهم على دينه ومن تنصر .

وقد واصل جورج سار (أو روجيه بيريفيت) دراسة شجرات النسب اليهودية إلى يومنا هذا ، ومن طريف ما يرد فى هذه الدراسة أن اسم الجنرال دى جول يرجع ـ عند جده الثالث

من ناحية الأم ـ إلى يهودى اسمه كولب Kolb تنصر على المذهب البروتستنتى اللوثرى ، وتحول اسمه إلى Golle ! ولدينا ـ إلى الآن ـ ثلاثة يهود باسم كولب فى الولايات المتحدة ، وأسماؤهم واردة فى دليل اليهود العالمى Who's Who in World Jewry .

وفى سنة ١٧٨٤ كان فى الألزاس يهودى اسمه Golle لاشك أنه فرع من الأسرة ظل على يهوديته .

ويذهب المؤلف ـ لهذا ـ إلى أننا ينبغى ألا نكتب اسم دى جول de Gaulle بل Degaulle أى كلمة واحدة ؛ لأنه فى هذه الحالة منسوب إلى جده لأمه اليهودى .

ولكن بيريفيت يسرف فى الاهتمام بالأسماء وتعليق النتائج عليها ، فلا شك أننا يصعب أن نقبل القول بأن هتلر من أصل يهودى ، لأن يهوديّا بهذا الاسم كان فى ألمانيا فى القرن الرابع عشر ، أو أن موسولينى كان يهوديّا أيضاً ؛ لأن دليل يهود البندقية للقرن الثالث عشر يذكر رجلاً يسمى موسولينى ، وكذلك ما يقال عن الأصل اليهودى للسير أوزوالد موزلى رئيس النازيين الإنجليز .

وفى صفحات ٦ ـ ٦٩ من الكتاب قائمة بعدد من الأسماء الفرنسية المسيحية الصحيحة ، يزعم بيريفيت أنها يهودية على أساس الأسماء وأصولها ، أو ما يسمى بعلم الأونوماستيك Onomastique .

ولوصدقنا ما يقوله فى هذه الصفحات فإن تسعين فى المائة من الفرنسيين يرجعون إلى أصول يهودية !

***

obeikandl.com